معنى كفرت وما كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى حتى يبعث في أمها في أصلها
التي هي أعمالها لأن أهلها يكون أفطن وأنبل رسولا يتلو عليهم آياتنا لإلزام الحجة
وقطع المعذرة وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفر
وما أوتيتم من شيء من أسباب الدنيا فمتاع الحياة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون
به مدة حياتكم المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة
وبهجة كاملة وأبقى لأنه أبدي أفلا تعقلون فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو
خير وقرئ بالياء وهو أبلغ في الموعظة أفمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فإن
حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك
عطفه بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحياة الدنيا الذي هو مشوب
بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيامة من المحضرين
للحساب أو العذاب وثم للتراخي في الزمان أو الرتبة وقرأ نافع في رواية والكسائي
ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك
رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم القيامة أو منصوب باذكر فيقول أين شركائي
الذين كنتم تزعمون أي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام
عليهما قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لأملأن
جهنم من الجنة والناس أجمعين وغيره من آيات الوعيد ربنا هؤلاء الذين أغوينا
أي هؤلاء هم الذين أغويناهم فحذف الراجع إلى الموصول أغويناهم كما غوينا أي
أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استئناف للدلالة على أنهم غووا باختيارهم
فإنهم لم يفعلوا بهم إلا وسوسة وتسويلا ويجوز أن يكون الذين صفة وأغويناهم الخبر
لأجل ما اتصل به فأفاده زيادة على الصفة وهو وإن كان فضلة لكنه صار من اللوازم
تبرأنا إليك منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة

ولذلك

ولذلك خلت عن العاطف وكذا ما كانوا إيانا يعبدون أي ما كانوا يعبدوننا
وإنما كانوا يعبدون أهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا أي تبرأنا
من عبادتهم إيانا وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم
لعجزهم عن الإجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم لو أنهم كانوا يهتدون
لوجه من الحيل يدفعون به العذاب أو إلى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمني
أي تمنوا أنهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين عطف
على الأول فإنه تعالى يسأل أولا عن إشراكهم به ثم عن تكذيبهم الأنبياء فعميت عليهم
الأنباء يومئذ فصارت الأنباء كالعمى عليهم لا تهتدي إليهم وأصله فعموا عن الأنباء
لكنه عكس مبالغة ودلالة على أن ما يحضر الذهن إنما يفيض ويرد عليه من خارج فإذا
أخطأه لم يكن له حيلة إلى استحضاره والمراد بالأنباء ما أجابوا به الرسل أو يعمها
وإذا كانت الرسل يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون إلى علم الله
تعالى فما ظنك بالضلال من أممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون
لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة أو العلم بأنه مثله فأما من تاب
من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع بين الإيمان والعمل الصالح فعسى أن يكون من
المفلحين عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام أو ترج من التائب بمعنى فليتوقع
أن يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة
أي التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم رأسا والأمر كذلك
عند التحقيق فإن اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم
فيها وقيل المراد أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف
ويؤيده ما روي أنه نزل في قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل
ما موصولة مفعول ليختار والراجع إليه محذوف والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه

Copyright © King Saud University